تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830
السداسي: الثالث
ماستر 2
اسم الوحدة: العلاقات الجزائرية الأوربية 2

أ.د. عبد القادر فكاير

علاقات الجزائر مع الدويلات الإيطالية - 2
مظاهر من المواجهات الحربية بين الجزائر والدويلات الإيطالية

كانت سواحل المدن الإيطالية من بين أهم المناطق التي كان يتردد عليها البحارة الجزائريون، ولذا كانت صور المواجهات متعددة من معارك حربية بحرية إلى استيلاء سفن جزائرية على سفن إيطالية، وفي أحيان أخرى كانت السفن الجزائرية تتعرض إلى الإختطاف من قبل السفن الإيطالية، وكانت هناك صور لمناورات حربية يمكن التعبير عنها بالعبارت التالية: حركة سفن، تخوف، وهجوم، ومحاصرة، وإفلات من حصار،مطاردة، وفيما يلي نماذج من هذه المواجهات التي تم ذكرها في صحيفة لاغازيت ((Gazette)) القرنسية.

أفادت صحيفة غزيت من مدينة ليفورن الإيطالية في خبر لها بتاريخ 25 ديسمبر 1751عن توقف وتخلي السفن الإيطالية عن نشاط صيد المرجان في سواحل سردينيا بسبب ظهور سفينتين جزائريتين في المنطقة، فقالت:« منذ أن توقفت سفن الإمبراطور عن رحلاتها البحرية، بدأ القراصنة في إزعاج الملاحة مرة أخرى..... أبلغنا قارب من نوع غوندول (Gondole) من كابري (Caprée) ، أن السفن المستخدمة في صيد المرجان قد تخلت عن سواحل جزيرة سردينيا (Sardaigne)، خوفًا من اقتراب سفينتين من نوع شابك جزائريتين منها». وفي خبر آخر لها من روما مؤرخا في 11 ماي 1752 ذكرت فيه استيلاء الجزائريين على ثلاثة قوارب إيطالية واحد من سورينتو (Sorrento) ، وإثنان من منطقة بالو(Palo) وتحثت الجريدة عن خروج السفن الجنوية من أجل حماية نفسها أو دخول بعضها الآخر فقالت:« غادر هذا الميناء (جنوة)في الحادي والثلاثين من الشهر الماضي [ماي]، غليوطتان (Galiotes) ، من أجل مطاردة القراصنة. في السابع عشر [جوان]، وصلت ثلاثة سفن من نوع (pinque) من صقلية تحمل على متنها كميات من الحبوب». وأضافت الصحيفة:« أفاد طاقم سفينة من نوع بولاك (Polaque)[19] من ميناء ماهون القادمة من مالطا، أنه في نفس يوم مغادرتها، عادت القوارب سفن الغالير (Galère)الأربعة

التابعة التنظيم الديني [لمالطا] إلى الميناء مع السفينتين الجزائريتين اللتين استولوا عليهما. ثم أضافت أن هذه الغاليرات ، ستعود قريبا إلى البحر مع أربعة سفن حربية. وذكرت صحيفة "لاغزيت" من جنوة بتاريخ 6 أوت 1752:« ننشرهنا نبأ معركة دامية وقعت في الخليج الأدرياتيكي بين سرب تابع لجمهورية البندقية و13 سفينة تابعة للقراصنة. يُزعم أن البنادقة أغرقوا ستة شباك في قاع البحر، وأساءوا معاملة سفن العدو الأخرى بشدة. من ناحية أخرى، علمنا أن عمارة جزائرية قد استولت على عمارة تابعة للبندقية بالقرب من مونوبولي (Monopoli)» .

ومن ليفورن ذكرت الصحيفة بتاريخ 26 أكتوبر 1752، أنها أبلغت من قبل عمارة قادمة من الآسكندرية أن سفينة من البندقية تعرضت لهجوم من قبل شباك جزائرية، فقالت: «أبلغتنا سفينة وصلت من الإسكندرية، أن سفينة تابعة للبندقية كانت متجهة إلى جزيرة قبرص (Chypre) تعرضت لهجوم من قبل سفينة جزائرية من نوع شباك ، على متنها أربعمائة رجل؛ وأن القرصان قد عومل معاملة سيئة ، وأنه عاد إلى ميناء الإسكندرية لإصلاح الضرر الذي لحق به. إن قبطان البندقية يسمى بيترينا (Petrina) » .

وذكرت الصحيفة في خبر وارد من ليفورن بتاريخ 3 ديسمبر 1752، أنها علمت من سفينة توسكانية دخلت ميناء ليفورن يوم 26 نوفمبر1752 أن قرصانان قد استوليا على ستة أشخاص تم استعبادهم على قارب تابع لدولة الكنيسة (l'Etat Ecclésiastique) وعلى سفينة جنوية. وأضافت أنها علمت من نفس الطاقم أن سفينتين جزائريتين تعرضتا لحصار من قبل سفن نابوليتانية، لكنهما تمكنتا من الهروب دون أية خسائر. ومن مدينة نابولي تحدثت الصحيفة بتاريخ 25 مارس 1753 عن معركة بحرية بين سفن جزائرية وسفن من نابولي في الجنوب الإيطالي، فقالت:« إن الأربعة شباك المسلحة التي دخلت إلى هذا الميناء (نابولي)، تمكنوا من الفرار، لقد قمنا بمهاجمة ثلاثة قرصان جزائريين كانوا في سواحل بوليا (Puglia) بعد معركة قوية، أغرقوا إحدى السفن البربرية في قاع البحر، وأجبروا الاثنين الآخرين على الفرار».

و في خبر لها من جنوة بتاريخ 6 ماي 1753، يتعلق عن وجود 4 سفن جزائرية في سواحل إيطاليا فقالت: « أفادت أحدى سفن من نوع الفلوكة (Felouque) مرسلة من ألاسيو(Alassio) أن طاقمها رأوا على ارتفاع من أحد المناطق المجاورة، أربعة سفن من نوع شباك (Chabec) بدا أنهم جزائريون، وكانوا يتحركون باتجاه نهر المشرق. إن الساحل كله في حركة لمنع الغارات التي قد يحاول هؤلاء القراصنة القيام بها هناك».

وفي 29 ماي 1723 أوردت الصحيفة خبرا مصدره من نابولي بتاريخ 29 ماي 1753، تحدثت فيه عن استيلاء سفينتين تابعتين للملك لسفينة نعتها أنها بربرية، ثم ذكرت أنها نفس السفينة التي استولى عليها الجزاريون قبل سنة فقالت:« لقد علمنا أن سفينتين للملك قد استولتا

على عمارة بربرية، بها ستة وثلاثون مدفعا، والتي تم عليها جعل ثلاثمائة واثنا عشر عبدًا. إنها كما نؤكد، نفس السفينة التي أخذها الجزائريون العام الماضي [1752] من البنادقة ».
ومن مسين الإيطالية ذكرت الصحيفة في في خبر لها بتاريخ 29 جوان 1753أن فرقاطتين ملكيتين استولتا على سفينة جزائرية كان على متنها 106 شخص. فقالت:« استولت فرقاطتان (Frégates) ملكيتان على قرصان جزائري وثمانية عشر مدفعا وطاقم مائة وستة. وقد قم اقتياد هذه الغنيمة إلى هنا (مسين) ». ومن مسين الإيطالية ذكرت الصحيفة في خبر لها بتاريخ 29 جوان 1753أن فرقاطتين ملكيتين استولتا على سفينة جزائرية كان على متنها 106 شخص. فقالت:« استولت فرقاطتان (Frégates) ملكيتان على قرصان جزائري وثمانية عشر مدفعا وطاقم مائة وستة. وقد قم اقتياد هذه الغنيمة إلى هنا (مسين) ».

وتحدثت الصحيفة في خبر من ليفورن بتاريخ 5 سبتمبر 1753، عن نشاط ثمانية جزائرية وإحداثها إضطرابا للملاحة في بحار صقلية وسردينيا باستيلائها على سفن إسبانية وإيطالية هناك، فقالت:« لقد أحدثت ثمانية سفن من نوع شباك وقاربا من الجزائر اضطرابا للملاحة في بحار صقلية وسردينيا. لقد اختطف هؤلاء القرصان سفينة إسبانية وثلاثة قوارب نابوليتانية وسفينة من نوع بولاك جنوية. هناك شائعة مفادها أن الإمبراطور قد يقطع قريباً معاهدته مع الإيالات المغاربية».

وفي الجهة الغربية من إيطاليا وبالضبط من جزيرة كورسيكا تحدثت الصحيفة في خبر لها وارد من مدينة روما بتاريخ 9 جويلية 1754عن استيلاء سفينتين جزائريتين على سفينتين تجاريتين في أعالي رأس كورسيكا فقالت:« استولت سفينتان جزائريتان من نوع شباك (Chabec) على سفينتين تجاريتين قرب رأس كورسيكا (Cap Corse). كان الماركيز بيكالوغا (Piccaluga)، الذي جاء من جنوة على متن إحدى هذه العمارات الأخيرة، محظوظًا للهروب في أحد السفن من نوع (Chaloupe) ».

ودائما من جزيرة صقلية تحدثت الصحيفة في خبر لها من نابولي بتاريخ 16 سبتمبر 1754 عن رسو خمس سفن جزائر في ساحل قرب ريجيو(Regio) وتغلغل طاقمها إلى عمق أراضي المنطقة واستولوا على بعض الغنائم وستة أسرى، فقالت:« من الرسائل التي تلقيناها من صقلية، علمنا أن خمسة شبك جزائرية نزلت بالقرب من ريجيو ؛ أن البرابرة قد تقدموا حتى وصلوا إلى مكان داخل الأراضي، لكنهم فازوا على غنيمة متواضعة، وأنهم أخذوا ستة من العبيد».

ومن مدينة نابولي تعرضت الصحيفة في خبر لها مؤرخا في 17 جويلية 1755 تحدثت فيه عن استيلاء سفينة جزائرية على سفينة إيطالية محملة بالقمح كانت في طريق دخولها إلى ميناء نابولي ثم وقوع معركة مع سفينتين أخريين انتهت بانهزام السفينة الجزائرية وأسر 60 جزائري كانوا على متنها، فقالت: « بناءً على الخبر أن سفينة من نوع شباك جزائرية

أصبحت سيدة على سفينة من نوع ترتان محملة بالحبوب كانت في طريقها إلى هذا الميناء، وقد خرج قاربان للبحث عن القرصان. وقد التقتا به بالقرب من تريميتي (Tremiti). لقد دافع الجزائري عن نفسه ببسالة كبيرة، وكان النصر لفترة طويلة مترددًا. في النهاية، استولى القاربان على سفينة العدو، وجلباه إلى هنا [نابولي] مع سفينة الترتان التي استولى عليها. لقد تم تحويل ستين شخصا إلى عبيد كانوا على متن سفينة الشباك. وقد فر تسعة وثلاثون من المدانين العاملين في جزيرة إيشيا (Ischia) على متن سفينة من نوع الفلوكة » .

ومن مدينة روما عرضت الصحيفة خبرا بتاريخ 16 ديسمبر 1755، تحدثت فيه عن استيلاء فرقاطة إيطالية على سفينة جزائرية من نوع بينك ، وتم توزيع ركابها على مدينتي بورتو لونغون و تشيفيتا فيكشيا، وفيما يلي نص الحادثة: « عادت الفرقاطة سان بول (La Fregate le Saint Paul) بقيادة شوفالييه دي بولسترون (Chevalier de Polastron)؛ إلى تشيفيتا فيكيا (Çivita-Vecchia). وقادت إلى هناك سفينة بينك الجزائرية التي تم الاستيلاء عليها. لقد تم ترك جنود وبحارة العمارة البربرية،في بورتو لونغون (Porto-Longone). ووُضع الآخرون،الذين وصلوا إلى تشيفيتا فيكشيا (Çivita-Vecchia)،في لازاريتو» (Lazareto).